المذاهب والمعتقدات

الألوهية في البوذية

عبيد الله الباقي أسلم

إن الله فطر الناس على معرفته ومحبته وتألهه؛ ولكن أكثر الناس أعرضوا عن الحق، وانحرفوا عن التوحيد إلى الشرك؛ واتخذوا أهوائهم آلهة، وجعلوا لأنفسهم ديانات لم تقم على نور من الله عزَّ وجلَّ، بل إنها كانت مبنية على أمور لم ينزل الله بها من سلطان، ومن الديانات الوضعية الباطلة: «الديانة البوذية» وهي: ديانة وثنية هندية تنسب إلى رجل يلقب بـ(بوذا) أي: العارف، واسمه (سدهارتا)، ولد من أسرة ثرية وذات سلطان، لكنه نزع إلى العزلة والزهد والتنسك لكن على غير هدى من وحي أو دين إلهي، مما جعله يبتدع مبادئ وأخلاقًا وسلوكًا، ويشكل نظامًا اجتماعيًا ودينيًا يميل إلى الإلحاد والوثنية، وكان ظهوره في القرن السادس قبل الميلاد(١).

فالبوذية أولها: العزلة، والزهد، والتنسك، وآخرها: إنكار وجود الإله والوثنية(٢).

ومن خلال هذا البحث سيتضح موقف بوذا وأتباعه من الألوهية بإذن الله تعالى.

أولًا: موقف بوذا من الألوهية:

كان بوذا لا يتكلم عن الألوهية، ولا يخوض في أمور الغيب في أول دعوته(٣)، بل كان ينهى أصحابه

(١) ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٨٦)، وفصول في أديان الهند (ص:١٢٩، و ١٤٣)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٥٨).

(٢) ينظر: ودراسات في البوذية (ص: ١٤٧ - ١٦٣).

(٣) ينظر: الديانات والعقائد (١/ ١٣٥)، والبوذية: نشأتها وأهم معتقداتها (ص: ٤٤٧)، والموجز في الأديان والمذاهب (ص: ٨٦).

وزوّاره أن يخوضوا في هذه الأبحاث، ويوبّخهم على سؤالهم عن قضية الألوهية وغيرها من القضايا الدقيقة المجردة(١)، ثم تحول إلى الإلحاد وإنكار وجود الإله(٢).

مراحل بوذا في إنكار وجود الإله:

المرحلة الأولى: مرحلة الصمت والتجاهل:

كان بوذا متواضعا هادئا ومهذبا في هذه المرحلة، فإذا سأله أحد من أتباعه عن الإله فكان يصمت قليلا ثم يحوّل الكلام إلى موضع آخر، أو يجيب إجابات مبهمة لا تدل على شيء معين(٣).

المرحلة الثانية: مرحلة الإجابات الغامضة:

إذا كثُر أتباع بوذا فبدأ يجيب عن الأسئلة التي تُوجّه إليه عن الإله بإجابات تثير الحَير والتشكك، ولا تشفي السائل، ومن أمثال قوله: «إن الذين ذهبوا من بيننا لم يعُد منهم أحد ليخبرنا ماذا وجد هناك، هل وجد الإله أم لم يجده» (٤).

المرحلة الثالثة: مرحلة التحكم والسخرية:

كان بوذا يسخر ممن يسأله عن الإله، وينصح أن لا يشغلوا أنفسهم بهذه الأمور، وكانت إجاباته عن الإله تنحصر في أمرين:

أ – أنه كان ينعى على أتباعه مثل هذا السؤال، أو السؤال عن الإله تحديدًا، ثم ينصحهم قائلًا: لا تسألوا عن أمثال هذه الأمور التي لا نفع فيها ولا فائدة، بل إنها مضيعة للوقت، بل اشغلوا أنفسكم بمثل هذه الموضوعات: هناك ألم، والألم له سبب، والسبب هو

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٦١ و٢٠٦)، والبوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٥٤)، ورسائل في الأديان والفرق والمذاهب (ص: ٥٤).

(٢) ينظر: دراسات في البوذية (ص: ١٥٤ – ١٥٧)، والبوذية: نشأتها وأهم معتقداتها (ص: ٤٤٧)، والموجز في الأديان والمذاهب (ص: ٨٦)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص: ٧٤ – ٧٥).

(٣) ينظر: دراسات في البوذية (ص: ١٥٤ – ١٥٥).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٥٥).

كذا، وعلامة هذا السبب كذا...

ب – أنه كان يسخر من السائل عن الإله، وجماع سخريته قائم على أن الكلام عن الإله كلام يدل على الجهل والحمق(١).

المرحلة الرابعة: مرحلة إنكار وجود الإله:

وقد أنكر بوذا وجود الإله إنكارا تاما في هذه المرحلة، ويدل على ذلك: مناظرته مع البراهمة حيث سأل البرهمي: هل رأيت براهما؟ هل كلمته؟، هل لقيته؟ هل لمسته؟(٢)؛ وهذا يعني: أنه لا يعرف الحقائق المتعلقة بوجود الإله، ولا يعرف صفات الإله التي تقوم على الإيمان بالغيب(٣).

والحاصل أن البوذيين المتقدمين قد أجمعوا على أن بوذا كان ينكر الألوهية(٤)، ويدل على إنكاره وجود الإله ما يلي:

أ – قوله عن الإله والكون: "إن الآلهة أنفسهم لو كان لهم وجود لما كان في وسعهم أن يجيبوا عن هذه المسائل"(٥).

ب – وقوله أيضًا: "الحق أقول لكم إني في حياتي هذه قد دخلت في «النرفانا(٦)»، واضمحلت حياتي وتخلصت من ربقة «كارما(٧)» ومن سلسلة التناسخ...لا إله ولا إنسان ولكن الحقيقة هي التي تبقى أبدا"(٨).

فهذه النصوص ومثلها تدل دلالة

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٥٥).

(٢) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية، وأديان الهند (ص: ٦٤٨ – ٦٤٩).

(٣) ينظر: دراسات في البوذية (ص: ١٥٤ – ١٥٧)، وفصول في أديان الهند (ص: ١٣٩).

(٤) فصول في أديان الهند (ص: ١٤١).

(٥) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٦٨)، والبوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٥٥)، ودراسات في البوذية (ص: ١٦٨).

(٦) النرفانا: هي السعادة القصوى؛ التي يصل إليها البوذي عندما يحطم جميع القيود التي تقيد النفس، وتمنعها من إدراك الحقائق، ويعرض عن شهوة البقاء، ويتملكه عقل هادئ مطمئن لا يتسرب إليه الخطأ، ويتجرد عن كل الشهوات وأسباب الخديعة والإغراء، ينظر: رسائل في الأديان والمذاهب (ص: ٥٦).

(٧) كارما: هي قانون الجزاء؛ يعتقدون البوذيون أنه لا بد من الجزاء على الأعمال خيرا أو شرا، ولكنه يقع في الحياة الدنيا، ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب (ص: ٨٦).

(٨) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص:٣١٥).

صريحة على إنكار بوذا الإله، وعدم الإيمان بأي إله من الآلهة(١).

أسباب إنكار بوذا وجود الإله:

ومما دفع بوذا إلى الإلحاد وإنكار وجود الإله:

أ- تشبيه الخالق بصفات المخلوقين.

ب - رد فعل لسوء تصرف طبقة من البراهمة، وثورة على سلطانهم واستبدادهم(٢).

ثانيًا: موقف البوذيين من الألوهية بعد بوذا:

إن أصل الإقرار بوجود الله تعالى والاعتراف به مستقر في قلوب الخلق جميعًا(٣)، وأن هذا الإقرار والمعرفة بالرب تستلزم المحبة والعبادة والتوجه إليه بالقصد والتعظيم؛ فالإنسان لا يتخلى عن العبادة أبدًا؛ لأن القلوب مفطورة على محبة إلهها وفاطرها وتألهه وعبادته(٤)؛ ولهذا يفكّر أتباع بوذا من بعده في الإله، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال فارغًا أسرع أتباعه وعمدوا إلى بوذا نفسه فجعلوه إلهًا معبودًا(٥)، وقد اختلفوا فيما بينهم حول شخصية بوذا وانقسموا إلى مذهبين كبيرين:

المذهب الأول: الهينايان (المذهب القديم):

قد اتجه البوذيون في هذا المذهب إلى الاعتقاد ببشرية بوذا، وأنه إنسان مقدس ارتقى إلى مرتبة أسمى من مرتبة الإنسان والملائكة والآلهة، فألهوه بهذا الاعتبار، وأما الخالق الإله فيعتقدونه خرافة اتباعًا لمؤسس ديانتهم: بوذا.

المذهب الثاني: المهايان (المذهب الجديد):

---

(١) ينظر: البوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٥٥)، والبوذية: نشأتها وأهم معتقداتها (ص: ٤٤٧).

(٢) ينظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٣٩)، دراسات في البوذية (ص: ١٥٧ - ١٦٠).

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢).

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٥٨).

(٥) ينظر: البوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٦٢ - ١٦٣)، والبوذية: نشأتها وأهم معتقداتها (ص: ٤٤٨).

وقد اعتقد البوذيون في هذا المذهب بأن بوذا ليس جسما، بل إنه نور مجسّم، وظِلّ ظهر في الدنيا، وهو الإله الأكبر، وهو الإله الأزلي(١).

فالمرتبة «بودها أي: التنور» التي توصّل الإنسان إلى درجة الآلهة أو ما فوقها -حسب زعم البوذيين - تشتمل على صفات متعددة منها:

١ – أنه تحرّر من شوائب أدران المادة المدنّسة، وتغلب على جميع رغباته وشهواته البشرية.

٢ – أنه تخلص من ربقة «كارما».

٣ – أنه تمكن من التذكر لأدوار حياته السابقة قبل هذه الحياة.

٤ – أنه عرف أسرار الحياة من بدايتها إلى نهايتها.

٥ – أنه عرف طريق الخلاص من آلام الحياة(٢).

وبعدما استقر عند المهايان (المذهب الجديد) أن بوذا ليس إنسانًا محضًا بل إن روح الإله قد تجسد فيه، فأصبح كائنا إلهيا؛ فبالتالي يعتقدون:

١ – أن نجمًا ظهر في أفق السماء، وهو يدل على ولادة بوذا.

٢ – أنه لما ولد فرحت جنود السماء.

٣ – أنه ابن الله، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل خطاياهم.

٤ – أن هيئته قد تغيرت في آخر أيامه؛ حيث نزل عليه نور أحاط برأسه، وأضاء من جسده نور عظيم، فهو ليس بشرا إنما هو إله عظيم.

٥ – أنه لما مات صعد إلى السماء بجسده؛ بعد أن أكمل مهمته في الأرض.

٦ – أنه سيرجع إلى الأرض؛ ليعيد السلام والبركة إليها(٣).

وبناء على ما سبق من العقائد

---

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٥٣ – ٦٥٤)، البوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٦٣ – ١٦٤)، والبوذية: نشأتها وأهم معتقداتها (ص: ٤٤٨ – ٤٤٩).

(٢) ينظر: البوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٦٤ – ١٦٥).

(٣) ينظر: رسائل في الأديان والمذاهب (ص: ٥٥ – ٥٦).

البوذية جعل البوذيون بوذا إلها معبودًا؛ فيعبدونه، ولكنهم لا يعرفون طريقة العبادات، فكل ما عندهم هو:

١ – الإكثار من الحمد والثناء على بوذا لحسنه وجماله وكماله على حد زعمهم.

٢ – التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة والمجتمع، والدعاء بصيرورة نفسه مثله في الحياة الثانية(١).

خلاصة القول:

أن الديانة البوذية قامت على التجرد والزهد تخلصًا من الشهوات والآلام، وأساطير وخرافات في أول أمرها، ثم تحولت إلى تأليه بوذا، بل تم الاعتقاد في وجود شخصيات إلهية مقدسة من الرهبان البوذيين(٢).

وقد تأثر بعقائدها أهل الديانات الأخرى مثل: أهل الرومان النصارى الذين أخذوا «عقيدة التثليث» من البوذيين حيث أنهم يعتقدون أن «بوذا، وتعاليمه، وأصحابه» ثلاثة في الأسماء وهي في الحقيقة شيء واحد، فكل منها مساوية لأختها بكل شيء بالعظمة والقداسة والكرامة(٣).

وكذلك تأثر بهم أهل الحلول والاتحاد؛ فعند البوذيين أعلى مراتب العبادة هو ذكر اسم بوذا عند الرهبان البوذيين، فلا تحصل النجاة إلا بالأخذ من الراهب الكامل الذي بلغ درجة بوذا في التخلي عن الشهوات والرغبات؛ ففي هذه المرحلة يقوم العابد مقام المعبود، والمخلوق مقام الخالق، فلا فرق بين الخالق والمخلوق بل هو هو(٤).

***

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٥٩)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٥٤).

(٢) ينظر: تاريخ الأديان (ص: ٩١ –٩٢).

(٣) ينظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٤٦)، وقصة الأديان دراسة تاريخية مقارنة (ص: ١٠٠ – ١٠١)، ومقارنات الأديان (ص: ٥٥)، البوذية، تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها (ص: ١٧٨ – ١٧٩).

(٤) ينظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٤٨).